طريق ترك العمل والقناعة لاخذ الرزق من كل وجه تاره بالسؤال وتاره بالحيل قال الامام
رضي الله عنه وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب قال
الشارح رضي الله عنه وهذا كلام بالغ في التحقيق وذلك ان العبد لا يزال ساكنا الى الله بقلبه معتمدا
عليه لا يلتفت الى سبب ولا يضطرب قلبه عند تغيره فهذا معنى قوله سكون فلا اضطراب واما
قوله اضطراب بلا سكون فلان الحق سبحانه قد يوجب على العبد الكسب والطلب في بعض
الاوقات والسعي لتحصيل الارزاق لنفسه او للاولاد والاباء والامهات فيتحرك في الطلب ولا
يسكن الى السبب ويكون ساكنا الى الله تعالى فهذا معنى قوله اضطراب بلا سكون اي يضطرب
فيها للامر ولا يسكن اليها بل للحق قال الامام رضي الله عنه وقيل التوكل ان يستوي عندك الاكثار
والتقلل قال الشارح رضي الله عنه وهذا من علامات المتوكلين فانهم اذا ضيق عليهم وقتر لا
يتغيروا ولا ينقلبوا واذا اوسع عليهم لم يبخلوا وانفقوا فهذه امارات المتوكل على الله الذي لا
يتغير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم بلال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا قال الامام
رضي الله عنه وقال ابو علي الدقاق التوكل الاستسلام لجريان القضاء والاحكام قال الشارح
رضي الله عنه وهذا اعلى مقامات التوكل فان من انتهى في التوكل سلم الامر الى الله وفوضه اليه
وترك اختياراته عليه فان المتوكل له ان يختار شيئا من الاشياء وحالا من الاحوال ويعتمد
بقلبه على الله في تحصيل ما اختاره ولا يخرجه ذلك عن التوكل لكونه معتمدا على الله في التحصيل
ولكنه اذا توالت عليه من الله الالطاف ورأى حسن ابادته بعده بالتفضل والاسعاف
سلم الامور كلها اليه وترك اختياراته وفوض اليه فهذا مراده وهو اعلى مراتب المتوكلين
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول
سمعت ابا عثمان الحيري يقول التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه قال الشارح رضي
الله عنه وهذا من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ومراده الاكتفاء بتدبير
الله والاعتماد عليه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن غالب يحكي
عن الحسين بن منصور قال المتوكل المحق لا ياكل وفي البلد من هو احق به منه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا او نقول انه من علامات المتوكلين الواثقين بان الله سبحانه لا يضيعهم فمتى
علموا المحتاج لا قوا انهم الضرورة في جنبهم انزروه بها اعتمادا على ان الحق لا يضيعهم لما علموه
من حسن صنيعه بهم اما بفرحة تغنيهم او ببدل عما اخرجوه بايثارهم قال الامام رضي الله عنه
وسمعته يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت منصور بن احمد الحربي يقول حكى لنا ابن
ابي شيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا ابراهيم الخواص فقلنا له حدثنا باعجب
ما رايته في اسفارك قال لقيني الخضر فسالني الصحبة فخشيت ان يفسد علي توكلي لسكوني
اليه ففارقته قال الشارح رضي الله عنه وهذا كمال في مراعاة حاله مع الله تعالى وحفظه

مسروف ن

ليه ن

لمقام

لمقام التوكل عليه وذلك ان الخضر رضي الله عنه اما نبي او ولي على اختلاف فيه ومن صحب مثل
هذه صفته سكنت نفسه اليه لانه اي شيء طلبه من الله حصل والخواص عامل بقلبه مع الله
تعالى ان لا يتعلق بغيره فلما لقي الخضر واستحسنه الله به والا فالخضر مستغن عن صحبته
لكمال قوته وانما الله امتحن الخواص في دعوى مقام التوكل عليه لا الى سبب فامتحنه باعظم
سبب ثم ثبته على ما قصده وطلب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس ذلك بعجب قال
الامام رضي الله عنه وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل فقال قلب عاش مع الله تعالى بلا
علاقة قال الشارح رضي الله عنه فكانه سئل كيف حال قلب المتوكل لا التوكل من اعمال القلوب
فاجاب قلب عاش مع الله بلا تعلق بغيره اي اعتمد على الله من غير تعلق بغيره قال الامام رضي
الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول للتوكل ثلاث درجات التوكل ثم
التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض
يرضى بحكمه قال الشارح رضي الله عنه وكذا جعل الامام في التوكل ما هو اعلى منه وسماه
توكلا وهو التسليم والتفويض وذلك ان التوكل لا يباين الاختيار مع اعتماد القلب على
الله في تيسير ما اختاره المتوكل والمسلم والمفوض خرجا عن اختيارهما وسلما وفوضا الامور
الى الله يفعل بهما ما هو صالح لهما وقوله المتوكل يسكن الى وعده اشارة الى قوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها والمسلم يكتفي بعلم الله بحاله فهو يعلم ما هو فيه والمفوض رضي بكل
ما يجريه عليه وافق غرضه او خالفه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول التوكل بداية والتسليم
وسائط والتفويض نهاية قال الشارح رضي الله عنه فالتوكل اعتماد والتسليم راحة وزيادة
والتفويض جريان مع علو رجه السداد قال الامام رضي الله عنه وسئل الزقاق عن التوكل
فقال الاكل بلا طمع قال الشارح رضي الله عنه يعني والله اعلم انه لا يتشوف لغير ما ياكله
في الوقت وتوقا للطفه به في كل حال تدفع عن نفسه الطمع في الاستقبال قال الامام رضي الله
عنه وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض
وهذه كلها علاقات قال الشارح رضي الله عنه وهذه رفقة الله نبه بها من سنه واشارات
الى قطع التعلق بالاسباب فان العبد يكون متعلقا بها وهو لا يشعر ويعتقد انه قد صح
اعتماده على الله ونفسه ساكنة الى غيره فاشار رضي الله عنه الى ان العبد اذا لبس زي
الصالحين وهو الصوف فقد تسبب واذا صحب القوافل في الاسفار بغير حمل زاد فقد
تسبب وسكن اليهم فانهم لا يتركونه غالبا واذا تكلم في الزهد ورجحه وكثر الكلام فيه دلهم
ذلك على انه لا شيء عنده وهو متخلق بما يقول من الزهد وهذا النوع يميل النفوس الى اكرامه
والصلة له بخلاف غيره من الفقراء ويهون عليهم دفع الاموال الكثيرة له ولا يخرجون لغيره ممن
يعرفون فقره درهما واحدا قال الامام رضي الله عنه وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)